نماذج من شعر الغزل العذري :

يقول جميل بن معمر (ت82هـ) [1]:

أَلا لَيْتَ رَيْعَانَ الشَّبَابِ جَدِيدُ	وَدَهْراً تَوَلَّى، يَا بُثَيْنَ، يَعُودُ
إِذَا قُلْتُ: مَا بِي يَا بُثَيْنَةُ قَاتِلِي،	مِنَ الحُبِّ، قَالَتْ: ثَابِتٌ، وَيَزِيدُ
وَإِنْ قُلْتُ: رُدِّي بَعْضَ عَقْلِي أَعِشْ بِهِ	تَوَلَّتْ وَقَالَتْ: ذَاكَ مِنْكَ بَعِيدُ!
وَقُلْتُ لَهَا، بَيْنِي وَبَيْنَكِ، فَاعْلَمِي	مِنَ اللهِ مِيثَاقٌ لَهُ وَعُهُودُ
وَقَدْ كَان حُبَّيْكُمْ طَرِيفاً وَتَالِداً،	وَمَا الحُبُّ إلاَّ طَارِفٌ وَتَلِيدُ
وَإِنَّ عَرُوضَ الوَصْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا،	وَإِنْ سَهَّلَتْهُ بِالمنَى، لَكَؤُودُ
وَيَحْسَبُ نِسْوانٌ مِنَ الجَهْلِ أَنَّنِي	إِذَا جِئْتُ، إِيَاهُنَّ كُنْتُ أُرِيدُ
فَأَقْسِمُ طَرْفِي بَيْنَهُنَّ فَيَسْتَوِي	وَفِي الصَّدْرِ بَوْنٌ بَيْنَهُنَّ بَعِيدُ
وَقَدْ كَان حُبَّيْكُمْ طَرِيفاً وَتَالِداً،	وَمَا الحُبُّ إلاَّ طَارِفٌ وَتَلِيدُ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً	بِوَادِي القُرَى ؟ إِنِّي إِذَنْ لَسَعِيدُ!
وَمَنْ يُعطَ فِي الدُّنْيَا قَرِيناً كَمِثْلِهَا،	فَذَلِكَ فِي عَيْشِ الحَيَاةِ رَشِيدُ
يُمُوتُ الْهَوَى مِنِّي إِذَا مَا لَقِيتُهَا،	وَيَحْيَا، إِذَا فَارَقْتُهَا، فَيَعُودُ
وَأَحْسَنُ أَيَّامِي، وَأَبْهَجُ عِيشَتِي،	إِذَا هِيجَ بِي يَوْماً وَهُنَّ قُعُودُ
عَلِقْتُ الهَوَى مِنْهَا وَلِيداً، فَلَمْ يَزَلْ	إِلى اليَوْمِ يُنْمِي حُبَّهُ وَيَزِيدُ
فَمَا ذُكِرَ الخِلاَّنُ إلاَّ ذَكَرْتُهَا،	وَلَا البُخْلُ إلاَّ قُلْتُ سَوْفَ تَجُودُ

ويقول فيها كذلك [2] :

أَرَى كُلَّ مَعْشُوقَينِ، غَيْرِي وَغَيْرَهَا،	يَلَذَّانِ فِي الدُّنْيَا ويَغْتَبِطَانِ
وَأَمْشِي، وَتَمْشِي فِي البِلَادِ، كَأَنَّنَا	أَسِيرَانِ، لِلْأَعْدَاءِ، مُرتَهَنَانِ
أُصَلِّي، فَأَبْكِي فِي الصَّلَاةِ لِذِكْرِهَا،	لِيَ الوَيْلُ مِمَّا يَكْتُبُ المَلَكَانِ
ضَمِنْتُ لَهَا أَنْ لَا أَهِيمَ بِغَيْرِهَا،	وَقَدْ وَثِقَتْ مِنِّي بِغَيْرِ ضَمَانِ
أَلا، يَا عِبَادَ اللهِ، قُومُوا لِتَسْمَعُوا	خُصُومَةَ مَعْشُوقِينِ يَخْتَصِمَانِ

[1] – الديوان، مصدر سبق ذكره، ص 38- 41.

[2] – الديوان، مصدر سبق ذكره، ص 129.

يَعِيشَانِ فِي الدُّنْيَا غَرِيبَيْنِ، أَيْنَمَا	أَقَامَا، وَفِي الأَعْوَامِ يَلْتَقِيَانِ

مقتطفات عذرية :

يقول مجنون ليلى (قيس بن الملوح) [1] :

كَأَنَّ القَلْبَ لَيْلَةَ قِيلَ يُغْدَى	بِلَيْلَى العَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ
قَطَاةٌ غَرَّهَا شَرَكٌ فَبَاتَتْ	تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلَقَ الجَنَاحُ
لَهَا فَرْخَانِ قَدْ تُرِكَا بِقَفْرٍ	فَعُشُّهُمَا تُصَفِّقُهُ الرِّيَاحُ
فَلَا فِي اللَّيلِ نَامَتْ فَاطْمَأَنَّتْ	وَلَا فِي الصُّبحِ كَانَ لَهَا بَرَاحُ

ويقول عروة بن حزام في عفراء [2] :

تَحَمَّلْتُ مِنْ عَفْرَاءَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ	وَلَا لِلْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ يَدَانِ
كَأَنَّ قَطاةً عُلِّقَتْ بِجَنَاحَهَا	عَلَى كَبِدِي مِنْ شِدَّةِ الخَفَقَانِ
لَوْ أَنَّ طَبِيبَ الإِنْسِ وَالجِنِّ دَاوَيَا	الذِي بِيَ مِنْ عَفْرَاءَ مَا شَفَيَانِي
إِذَا مَا جَلَسْنَا مَجْلِساً نَسْتَلِذُّهُ	تَوَاشَوا بِنَا حَتَّى أَمَلَّ مَكَانِي
تَكَنَّفُنِي الوَاشُونَ مِنْ كلِّ جَانِبٍ	وَلَوْ كَانَ واشٍ وَاحِدٍ لَكَفَانِي
وَلَوْ كَانَ وَاشٍ بِاليَمَامَةِ دَارُهُ	وَدَارِي بِأَعْلَى حَضْرَمُوتٍ أَتَانِي

الخصائص الفنية للغزل العذري :

الرائي للغزل العذري يرى فيه جمال البداوة وسذاجتها، وصدق العاطفة ورقتها، وقوة العبارة وفخامتها، لأن كل هذا يصدر عن نفس تتكلم لغة الأرواح؛ لها من القناعة والعفة والوفاء ما يجعل الحب عندها تضحية لا تنتهي، وعشقا يودي بصاحبه إلى القبر، وفيما يلي أهم ما يتميز به الغزل العذري :

1/ الاقتصار في الحب على امرأة واحدة، يفنى الواحد في عشقها، لا ينتقل بالحب إلى غيرها، وإن أوصله حبه للموت، فهي داؤه ودواؤه، وهي عشقه الوحيد ومطلبه الأبدي، ولهذا كانوا ممن قتلهم الحب، وبسبب ذلك، ارتبط اسم كل شاعر بحبيبته، وصارا متلازمين، فنقول: عروة عفراء، وجميل بثينة، ومجنون ليلى، وكثير عزة، وقيس لبنى.

2/ تشيع فيه حرارة العاطفة التي تصور خلجات النفس ولواعج الحب ولهيب الهوى وفرحة اللقاء وآلام الفراق.

3/ وصف الحرمان واليأس، حيث يصف المرأة بأنها مُعرِضةٌ متمنِّعة قلَّما تستجيب له أو تسمع منه.

4/ احترام العلاقة بين العاشقين، والأخذ بالعفة والرضى بالحب الطاهر.

5/ الصدق، بحيث تغلب على الشاعر العذري روح الصدق، فهو يقنع مستمعيه بحرارة عاطفته وأمانة وصْفه لما يعبِّر عنه

[1] – الديوان، دراسة وتعليق: يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1999، ص 113– 114.

[2] – أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي التادلي، الحماسة المغربية، ج02، تح: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط01، 1991، ص 933.

من شعور نحو محبوبته، فتظهر كلماته صافية لا يلوِّثها الخداع الاجتماعي والنفاق والمداراة التي قد تكون عند غيره من الشعراء.

6/ ولا يتخذ الغزل العذري مظهرًا واحدًا عند المحبين جميعًا، فهو هادئ عند بعضهم، ثائر عند آخرين.

7/ غياب المقدمات : بحيث يتجه الشاعر في قصيدته إلى الغرض الأصلي – مباشرة – دون المرور بالمقدمات أو الأغراض الأخرى التي يهتم بها الشعراء غير الغزليين.

8/ بساطة المعاني : فالشاعر لا يتعمق فيها ولا يُدقِّق في دلالاتها، وليست موطن اهتمامه وتعهده، ولا يحرص عليها أو يُجوِّدها، كلُ هَمه أن يعبِّر عن العاطفة التي تجيش بها نفسه، ولذا تتصف معاني العذريين بالفطرة والسذاجة والمباشرة والبعد عن التعقيد.

9/ سلاسة الألفاظ وسهولتها وقدرتها على التعبير عن العواطف، حيث يحشدها الشعراء في صورهم الشعرية، فتأتي موحية دالة، خاصة إذا جاءت مكررة، بحيث تشكل مجالا دلاليا مكتملا عن أحاسيس ومواجيد الشعراء.

ملاحظات :

* لقد كان لاشتراك الشعراء العذريين وتواطئهم على المعاني والألفاظ والأساليب، جعل شعرهم يختلط بعضه ببعض، فكان ما قاله قيس بن الملوح يضاف إلى ما قاله جميل بن معمر، وما قاله جميل ينسب إلى ما قاله كثيِّر، وهكذا، فمثلا الأبيات التالية، تنسب مرة لجميل بن معمر، ومرات لكثير عزة ومرة لابن الدمنية :

وَإِنِّي لأَرْضَى مِنْ بُثَيْنَةَ بالَّذِي	لَوَ أَبْصَرَهُ الوَاشِي لَقَرَّتْ بَلاَبِلُهْ
بلَا وَبأَنْ لَا أَسْتَطِيعُ وَبِالْمُنَى	وَبِالأَمَلِ الْمَرْجُوِّ قَدْ خَابَ آمِلُهْ
وَبِالنَّظْرَةِ العَجْلَى وَبِالْحَوْلِ تَنْفَضِي	أَوَاخِرُهُ لَا نَلْتَقِي وَأَوَائِلُهْ

ولعل التواطؤ والاشتراك بين الشعراء العذريين مردُّه التجربة الوجدانية الموحَّدة، لأن الروح لما تصفو تتكلم بلغة واحدة.

* لكثرة ما رويت الأخبار عن هؤلاء العشاق، حتى أضحى كثير منها لا تمت للواقع بصلة، فهي أقرب للأساطير، وهذا يرجع لتناقضها ومخالفتها للعقل، ولعل كل أخبار العشاق العذريين تشترك في أن الواحد منهم يحبُّ فتاة فيشبب بها، فيخطبها من أهلها فيرفضون ذلك مخافة ألسنة الناس، إذ إن العرب إذا قيل شعرُ غزلٍ في بناتها، تمتنع عن تزويجها لمن تغزل بها نفيا للريبة، وبعدا عن التهمة، فيزوجونها لغيره، بعدما يستعدون عليه السلطان أو صاحب الأمر، يطلبه، فيفرُّ منه بعدما أُهدر دمه، فيبقى هائما على وجهه في الفيافي والصحراء ينشد الأشعار، حتى تأتيه منيِّته .

* تغير المفاهيم والتصورات عند الشاعر العذري، حيث إنَّ الحب عنده أضفى على حياته فلسفة ذاتية، يرى الوجود من

منظور خاص، وهم في هذا اقتربوا من فلسفة التصوف من حيث التجرد من قيود المادة والحس [1]، ولهذا لما دعي جميل بن معمر للجهاد في سبيل الله لنيل الأجر، فلسف قضية الجهاد والشهادة، وجعلهما متعلقين بالمرأة، فيقول [2] :

يَقُولُونَ جَاهِدْ يا جَمِيلُ بغَزْوَةٍ،	وَأيُّ جِهَادٍ غَيرَهُنَّ أُرِيدُ
لِكُلِّ حَدِيثٍ عِنْدَهُنَّ بَشَاشَةٌ،	وَكُلِّ قَتِيلٍ بَينَهُنَّ شَهِيدُ

ومن منظورهم الخاص أيضا، يتجلى موضوع الجمال، وبخاصة جمال محبوباتهم، حيث يروي لنا التاريخ كثيرا من الأخبار، التي تظهر فيها محبوبات شعراء الغزل العذري بصورة جمالية عادية، لكنهن في نظر عشَّاقهم هن الجمال المطلق؛ الذي ليس بعده مزيد، ولهذا قالت عزة صاحبة كثير حين قال لها الحجاج : والله ما أنت كما قال فيك كُثَيِّرٌ، فقالت له : إنه لم يرني بالعين التي رأيتني بها، ولعلَّ هذا الجنوح إلى النفس من طرف الشاعر العذري، يرجع لكونه « يعيش في عالم خاص به، لايرى فيه إلا محبوبه وخياله، وكأنما تضيق في عينه آفاق الكون، فتصبح أفقا محدودا، بل رقعة محدودة يلؤها المحبوب والفكر فيه والتأمل في جماله » [3]

نماذج من شعر الغزل العمري :

يقول عمر بن أبي ربيعة في رائيته الشهيرة؛ التي بها اعترف له جرير بالشاعرية [4]:

أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أَنْتَ غادٍ فَمُبْكِرُ	غَدَاةَ غدٍ أَوْ رَائِحٌ فَمُهَجِّرُ
لِحَاجَةِ نَفْسٍ لم تَقُلْ في جَوَابِهَا	فَتَبْلُغَ عُذْراً، والمقالةُ تَعْذِرُ
أَهِيمُ إِلى نُعْمٍ فَلَا الشَّمْلُ جَامِعٌ	وَلَا الحَبْلُ مَوْصُولٌ وَلَا القَلْبُ مُقْصِرُ
وَلَا قُرْبُ نُعْمٍ إِنْ دَنَتْ لَكَ نَافِعٌ	وَلَا نَأْيُهَا يُسْلِي وَلَا أَنْتَ تَصْبِرُ
إِذَا زُرْتُ نُعْماً لَمْ يَزَلْ ذُو قَرَابَةٍ	لَهَا كُلَّمَا لَاقَيْتُهَا يَتَنَمَّرُ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ أَلمَّ بِبَيْتِهَا	مُسِرٌّ لِيَ الشَّحْنَاءَ لِلْبُغْضِ مُظْهِرُ
وَلَيْلَةَ ذِي دَوْرَانَ جَشَّمَنِي السُّرَى	وَقَدْ يَجْشُمُ الهَوْلَ المحِبُّ المغَرَّرُ
فَبِتُّ رَقِيباً لِلْرِّفَاقِ عَلَى شَفَاً،	أُحَاذِرُ مِنْهُمْ مَنْ يَطُوفُ، وَأَنْظُرُ
إِلَيْهِمْ مَتَى يَسْتَمْكِنُ النَّوْمُ مِنْهُمُ	وَلِي مَجْلِسٌ لَوْلا اللُّبَانَةُ أَوْعَرُ
وَبِتُّ أُنَاجي النَّفْس: «أَيْنَ خِبَاؤها؟	وَكَيْفَ لِمَا آتِي مِنَ الأَمْرِ مَصْدَرُ؟»
فَدَلَّ عَلَيْهَا القَلْبُ رَيَّا عَرَفْتُها	لَهَا وَهَوَى النَّفْسِ الَّذِي كَادَ يَظْهَرُ

[1] – يقول شوقي ضيف جامعا بين التجربة العذرية والتجربة الصوفية : « ما الحب العذري إلا صوفي خالص، صوفي في ظمئه الذي لا ينتهي إلى رؤية الحبيب ولقائه، وصوفي في تغنيه بعشقه الجامح الذي يملك كل قلبه وكل أهوائه وعواطفه ومشاعره، وصوفي تعييه الحيلة وتعوزه الوسيلة إلى لقاء بالمحبوب، وإنه ليسير في طريق لا نهاية لها ولا سبيل إلى الدنو من غايتها إلا بإسلام الروح، وصوفي في ارتفاعه عن كل صغائر الحياة » الحب العذري عند العرب، مرجع سبق ذكره، ص 23.

[2] – الديوان، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت، ص40.

[3] – شوقي ضيف، الحب العذري عند العرب، مرجع سبق ذكره، ص16– 17.

[4] – الديوان، مصدر سبق ذكره، ص 84– 93.

فَلَمَّا فَقَدْتُ الصَّوْتَ مِنْهُمْ وأُطْفِئَتْ	مَصَابِيحُ شُبَّتْ بِالْعِشَاءِ وَأَنْوُرُ
وَغَابَ قُمَيْرٌ كُنْتُ أَرْجُو غُيوبَهُ،	وَرَوَّحَ رُعْيَانٌ، وَنَوَّمَ سُمَّرُ
وَنَفَّضْتُ عَنِّي النَّوْم، أَقْبَلْتُ مِشْيَةَ الْ	حُبَابِ، وَرُكْنِي، خَشْيَةَ القَوْمِ، أَزْوَرُ
فَحَيَّيْتُ إِذْ فَاجَأْتُهَا، فَتَوَلَّهَتْ،	وَكَادَتْ بِمَخْفُوضِ التَّحِيَّةِ تَجْهَرُ
وَقَالَتْ وَعَضَّتْ بِالبَنَانِ: «فَضَحْتَنِي	وَأَنْتَ امْرؤٌ، مَيْسُورُ أَمْرِكَ أَعْسَرُ!"
"فَوَاللهِ مَا أَدْرِي أَتَعْجِيلُ حَاجَةٍ ،	سَرَتْ بِكَ، أَمْ قَدْ نَامَ مَنْ كُنْتَ تَحْذَرُ؟»
فَقُلْتُ لَهَا: "بَلْ قَادَنِي الشَّوقُ وَالهَوَى	إليكِ، وَمَا عَينٌ مِنَ النَّاسِ تَنْظُرُ»
فَبِتُّ قَرِيرَ العَيْنِ، أُعْطِيتُ حَاجَتِي،	أُقَبِّلُ فَاهَا، فِي الخَلَاءِ، فَأُكْثِرُ
فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ تَقَاصَرَ طُولُهُ،	وَمَا كَانَ لَيْلِي قَبْلَ ذَلِكَ يَقْصُرُ
وَيَا لَكَ مِنْ مَلْهَىً هَنَاكَ وَمَجْلِسٍ	لَنَا، لَمْ يَكِدِّرْهُ عَلَيْنَا مُكَدِّرُ
فَلَمَّا تَقَضَّى اللَّيْلُ إِلَّا أَقَلَّهُ،	وَكَادَتْ تَوَالِي نَجْمِهِ تَتَغَوَّرُ
أَشَارَتْ "بِأَنَّ الحيَّ قَدْ حَانَ مِنْهُمُ	هُبُوبٌ، وَلَكِنْ مَوْعِدٌ لَكَ عَزْوَرُ"
فَلَمَّا رَأَتْ مَنْ قَدْ تَنَبَّه مِنْهُمُ	وَأَيْقَاظُهُمْ، قَالتْ: "أَشِرْ كَيْفَ تَأْمُرُ؟"
فَقُلْتُ: «أُبَادِيهِمْ فَإِمَّا أَفُوتُهُمْ	وَإِمّا ينالُ السَّيْفُ ثَأْراً فَيَثْأَرُ»
فَقَالَتْ: «أَتَحْقِيقاً لِما قَال كَاشِحٌ	عَلَيْنَا، وَتَصْدِيقاً لِمَا كَانَ يُؤْثَرُ؟"
"فَإِنْ كَانَ مَا لَابُدَّ مِنْهُ، فَغَيْرُهُ،	مِنَ الأَمْرِ أَدْنَى لِلْخَفَاءِ وَأَسْتَرُ»
«أَقُصُّ عَلَى أُخْتَيَّ بَدْءَ حَدِيثِنا	وَمَا لِيَ مِنْ أَنْ تَعْلَمَا مُتَأَخَّرُ»
فَقَامَتْ كَئِيباً لَيْسَ فِي وَجْهِهَا دَمٌ،	مِنَ الحُزْنِ، تُذْرِي عَبْرَةً تَتَحَدَّرُ
فَقَامَتْ إِلَيهَا حُرَّتَانِ عَلَيْهِمَا	كِسَاءَانِ مِنْ خَزٍّ دِمَقْسٌ وأَخْضَرُ
فَقَالَتْ لأُخْتَيْهَا: "أَعِينَا عَلَى فَتًى ،	أَتَى زَائِراً والأَمْرُ لِلأَمْرِ يُقْدَرُ»
فَأَقْبَلَتا فارْتَاعَتا ثُمَّ قَالَتَا:	« أَقِلِّي عَلَيْكِ اللَّوْمَ فَالْخَطْبُ أَيْسَرُ»
فَقَالَتْ لَهَا الصُّغْرَى : "سَأُعْطِيهِ مُطْرَفِي	وَدِرْعِي وَهَذَا البُرْدَ إِنْ كَانَ يَحْذَرُ»
«يَقُومُ فَيَمْشِي بَيْنَنَا مُتَنَكِّراً	فَلَا سِرُّنَا يَفْشُو وَلَا هُوَ يَظْهَرُ"
فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الحَيِّ قُلْنَ لِي:	« أَلَمْ تَتَّقِ الأَعْدَاءَ واللَّيْلُ مُقْمِرُ؟»
وَقُلْنَ: «أَهَذا دَأْبُكَ الدَّهْرَ سادِراً	أَمَا تَسْتَحِي أَمْ تَرْعَوِي أَمْ تُفَكِّرُ؟"
"إذا جِئْتَ فَامْنَحْ طَرْفَ عَيْنَيْكَ غَيْرَنَا،	لِكَيْ يَحْسِبوا أَنَّ الهوَى حَيْثُ تَنْظُرُ»

مقتطفات من الشعر الحسي :

يقول عمر بن أبي ربيعة [1] :

[1] – محمد بن قتيبة، عيون الأخبار،ج04، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1418هـ ، ص 111.

تَمَتَّعْ بِهَا مَا سَاعَفَتْكَ، وَلَا تَكُنْ	عَلَيْكَ شَجَاً فِي الحَلْقِ، حِينَ تَبِينُ
وَإِنْ هَيَ أَعْطَتْكَ اللِّيَانَ، فَإِنَّهَا	لِآخَرَ مِنْ خُلاَّنِهَا سَتَلِينُ
وَإِنْ أَقْسَمَتْ لَا يَنْقُضُ النَّأيُ عَهْدَهَا	فَلَيْسَ لِمَخْضُوبِ البَنَانِ يَمِينُ

يقول الأحوص الأنصاري [1] :

خَلِيلاَنِ بَاحَا بالهَوَى فَتَشَاحَنَتْ	أَقَارِبُهَا فِي وَصْلِهَا وَأَقَارِبُهْ
أَلَا إنَّ أَهْوَى النَّاسِ قُرْباً وَرُؤْيَةً	وَرِيحاً إذَا مَا اللَّيْلُ غَارَتْ كَوَاكِبُهْ
ضَجِيعٌ دَنَا مِنِّي جَذِلْتُ بِقُرْبِهِ	فَبَاتَ يُمَنِّينِي وَبِتُّ أُعَاتِبُهْ
وَأُخْبِرُهُ فِي السِّرِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ	بِأَنْ لَيْسَ شَيءٌ عِنْدَ نَفْسِي يُقَارِبُهْ

ويقول العرجي[2]:

مَحْجُوبَةٌ سَمِعَتْ صَوْتِي فَأَرَّقَهَا	مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ لَمَّا مَسَّهَا السَّحَرُ
لَمْ يَحْجِبِ الصَّوْتَ أَجْرَاسٌ وَلَا حِلَقٌ	فَدَمْعُهَا لِطُرُوقِ الصَّوْتِ مُنْحَدِرُ
فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ لَا يَدْرِي مُضَاجِعُهَا	أَوَجْهُهَا عِنْدَهُ أَبْهَى أَمِ الْقَمَرُ
لَوْ خَلِّيَتْ لَمَشَتْ نَحْوِي عَلَى قَدَمٍ	تَكَادُ مِنْ رِقَّةٍ لِلْمَشْيِ تَنْفَطِرُ

الخصائص الفنية للغزل العمري :

1/ أساسه حب ممتزج بميول شهوانية وعواطف خالية من التحرُّج، وأوصاف مكشوفة، يدفع إليها الشوق إلى الاستمتاع بالمرأة .

2/ التعدد في الحب : فأصحاب هذا المذهب لاطاقة لهم بالصبر على محبوبة واحدة؛ لأنهم يرون أن الحب المفرد قَيْدٌ يحدُّ من انطلاقهم وحريتهم، وذلك تخففًا من قيود الحب الواحد وما يُلقي عليهم من تبعة لا تقبلها طبيعتهم ولا يرضاها سلوكهم، فحبهم قائم على الآنيَّة والتجدُّد، وأنفسهم قادرة على تغيير الحال والانتقال بعواطفهم إلى حيث شاءوا من مواقع الجمال فيتحول الحب عندهم إلى ضرب من المغامرة، ولهذا قال عمر بن أبي ربيعة :

سَلامٌ عَلَيْهَا مَا أَحَبَّتْ سَلَامَنَا	فَإِنْ كَرِهَتْهُ سَلَامٌ عَلَى أُخْرَى

وقول بعضهم :

فَإِنْ تَصِلِي أَصِلْكِ وإِنْ تَعَودِي	لِهَجْرٍ بَعْدَ وَصْلِكِ لا أُبَالِي

وبهذا يصبح موقف الشاعر الغزلي الماجن من الجمال، أنه متعلق به أيًّا كان حامله، بخلاف العذري؛ الذي يتعلف بالشخص الواحد، بوصفه موطن الجمال، أي أن الأول الجمال عنده واحد لكنه يتعدد في الأشخاص، والثاني الجمال

[1] – الديوان، تح: عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط02، 1990، ص94.

[2] – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المحاسن والأضداد، دار ومكتبة الهلال ، بيروت، لبنان، 1423هـ، ص264.

عنده واحد، يتصف به واحد لا غير.

3/ عدم التحرُّج : لا يتحرج الشاعر الحسي من إعلان اللذة وطلب المتعة المتجددة والاستمتاع بالمرأة، وقد يجاهر بشيء من الفحش.

4/ شيوع الحوار القصصي : وهذ اللون يُكْسِب شعرهم طرافة وجمالاً، ويخلق جوًا من المرح.

5/ التصلب العاطفي : فلا يحفل هذا الفن بالجاذبية الروحية التي يجدها العاشق في المرأة، بقدر احتفاله بأوصافها الجسدية وأنها مخلوقة للاستمتاع، وقد برع الغزل الحسي في الوصف براعة جعلته يتناول كل عضو من جسد المرأة ويصور مكامن الجمال فيه ولذة النظر إليه، فالحب عندهم ليس عناءً يذيب النفس، ولكنه متعة جسدية، لا يشكو الشاعر معها الحرمان ولا يذوق مرارة الهجر، بمعنى آخر أنه قصر همه على وصف الجانب المادي من المرأة، دون جوانبها العاطفية والروحية.

6/ هجر الألفاظ الغريبة والوحشية، وتأسيس لغة جديدة تتلاءم مع مقتضيات الحياة، بما فيها من ترف ومجون وابتذال، فقد جاءت عذبة سلسة لينة .

7/ غياب المقدمات الطللية، استجابة للحياة الحضرية، وتمثيلا لها وتعبيرا عنها، ومن ناحية ثانية، أنَّ الشعر الماجن، يتجه إلى صوب جسد المرأة مباشرة يصوره ويصفه، فلا حاجة له للمقدمات التي تمهد له الطريق.

8/ وحدة الموضوع : القصيدة عند الغزليين الحسِّيين ذات موضوع واحد، فلا ينتقل الشاعر من غرض إلى آخر، كما كان منهج الشاعر في القصيدة العربية من قبل، فكانت المرأة والتغزل بها هو المبتدأ والمنتهى، ولهذا قال عمر بن أبي ربيعة لسليمان بن عبد الملك إنه لا يمدح الرجال ولكنه يمدح النساء.

9/ المرأة في شعر الغزل الماجن غير متمنَّعة –كما في الشعر العذري – فهي سهلة الانقياد، موافقة تبادل الرجل الحب، وتكشف عن رغبة في اللقاء والتطلع إليه، ولكن مع هذا يظهر منها ضروبٌ من الدلال، وهي مع هذا متحضرة مترفة « تتحدث وفي حديثها ألف لون من ألوان الغنج والدلال، وتنظر وفي نظرتها أهل همسة وألف غمزة، وتمشي وفي مشيتها ألف معنى من معاني الإيحاء الجمالي والتأثير الحسي، وتدَّهن بالأطياب، وفي أطيابها ألف رسالة إلى القلب من وراء الشم »[1]

ملاحظات :

* الغزل الماجن هو وليد الحضارة التي انتقل إليها العرب، فموضوع الغزل إذن هو المرأة العربية المتحضرة، ولهذا من غير المعقول أن يظهر شعر ماجن يشكل مدرسة كاملة في العصر الجاهلي، لأن المرأة إذ ذاك كانت بدوية، ليست مهيأة كي يصفها الشعراء، ويصف أحوالهم معها.

* كثير من شعر الغزل الماجن إنما أنشئ، حتى يُغنَّى، ويُفهم ويُتداول، خاصة وأن الحجاز (مكة والمدينة)، كانت تعجان بالقيان والمغنين نساء ورجالا، الذين كانوا يطلبون الشعر من أمثال عمر بن أبي ربيعة والعرجي والأحوص، ويلحون في طلبه، من أجل تلحينه، ويؤكد هذا الأمر، أن جل شعر ابن أبي ربيعة هو مقطوعات (الأصلح للغناء)، إلا مطولات

[1] – حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)، مرجع سبق ذكره، ص 449.

قليلة، وهي قيلت على أوزان خفيفة ملائمة للغناء كالسريع والخفيف والوافر والرمل والمتقارب.

* ترجع أهمية الغزل الماجن، والذي منطلقه القوة الشهوانية –كما يرى الفلاسفة – أنه مدعاة لحفظ النوع البشري، إذ لولاه، لانقطع النسل كلية.